الفصل الثاني
مظاهر الغربة الأولى

الفصل الثاني

مظاهر الغربة الأولى

إن استقصاء الأحداث والوقائع والمظاهر التي تمثَّلت فيها غربة المسلمين الأوائل منذ فجر الدعوة، وإلى أن أذن الله بنصرها، وقيام دولتها؛ أمر يطول، ولكن يمكن الاقتصار على نماذج وأمثلة لصور الغربة العامة التي تمثلت فيها. وأشير إلى أن الغربة تكون على نوعين:

الأول: غربة خاصة، وأعني بها غربة بعض المؤمنين في بعض البلاد أو المواضع؛ لأسباب وظروف خاصة.

وهذه الغربة لا يمكن القول بأنها زالت أو تزول؛ بل هي باقية حتى بعد استقرار شأن الإسلام وقيام دولته؛ لأن لها أسبابها الخاصة، فيمكن أن توجد بوجود أسبابها.

ومن صور هذه الغربة ومظاهرها الواضحة بقاء النجاشي (أصحمة)[1] مَلك الحبشة الذي آوى المسلمين في بلاده، وعدم هجرته إلى الله ورسوله، مع أن من الثابت أنه آمن بالله وبالرسول صلى الله عليه وسلم، وشهد شهادة الحق، وعرف أن النبي محمدًا عليه الصلاة والسلام هو النبي الذي بشَّر به عيسى عليه السلام.

وقد مات النجاشي في بلده دون أن تكتحل عينه وتقر برؤية النبي صلى الله عليه وسلم، ودون أن ينال شرف الصحبة -الذي هو منقبة جليلة لا يخفى قدرها-.

وقد نعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى وصلى عليه؛ لأنه غريب مؤمن مات في دار غربة مشركة، وما ثم من يصلي عليه من المسلمين في بلده:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، خرج إلى المُصلَّى، فصف بهم، وكبَّر أربعًا"[2].

وقـد أمـر النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم أصـحابه بالاسـتغفار لـه، فقـال: **"اسـتغفروا لأخيكم"**، وقـال: **"إنـه مـات فـي بلـد غيـر بلدكم"**؛ ولهذا صلى عليه صلاة الغائب[3].

وهـذا يمثـل جانبًـا مـن الوفـاء الكـبير الـذي حفظــه الرســول صــلى اللــه عليــه وســلم والمؤمنـون للنجاشـي، حيـث آمـن وثبـت علـى إيمـانه -رغـم الضـغوط مـن حـوله-، واسـتقبل المؤمنين، وأكرم وفادتهم، وأحسن مثواهم.

ومن مظاهرهـا - أيضًـا- بقـاء بعـض المـؤمنين المستضــعفين الــذين لا يســتطيعون حيلــة، ولا يهتدون سبيلاً، وتأخر هجرتهـم إلـى النـبي صـلى الله عليه وسلم كالوليد بن الوليـد، وسـلمة بـن هشام، وعياش بن أبي ربيعة.

عن أبي هريـرة رضـي اللـه عنـه قـال: كـان رسول الله صلى الله عليـه وسـلم حيـن يرفـع رأسه يقول: **"سمع اللـه لمـن حمـده، ربنـا ولك الحمد،** يدعو لرجال فيسـميهم بأسـمائهم فيقول: **اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة ابـن هشـام، وعيـاش بـن أبـي ربيعـة، والمستضـعفين مـن المـؤمنين، اللهـم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهـم سنين كسني يوسف،** وأهل المشـرق يومئـذ من مضر مخالفون له"[4].

فلقد كان هؤلاء النفر الثلاثة مـع غيرهـم مـن المؤمنين المستضعفين الذين حبسـتهم قريـش، ومنعتهم من الهجرة إلى الله، وإلى رسوله صلى اللـه عليـه وسـلم فكـانوا يعـانون الغربـة؛ بـل والفتنة عن دينهم، حتى افتتن منهـم مـن افتتـن، ثم تاب الله عليهم[5].

فغربة هؤلاء القـوم، ومقـامهم بيـن ظهرانـي المشركين، وغربـة النجاشـي فـي الحبشـة، ومـا شاكل هذا وذاك؛ هي غربة خاصـة؛ لأنهـا لا تعـدو أن تكون حالات فرديـة يضـطر إليهـا المؤمنـون: إما من قبيل تحصيل مصلحة راجحة لا تحصـل إلا بذلك، أو من قبيل دفع مفسـدة راجحـة لا تنـدفع إلا بـــذلك، وإمـــا مـــن قبيـــل الإلجـــاء والإكـــراه والاضطرار.

ومن هذه الأمثلة يتضح أن هذه الغربة يمكـن أن تحـدث فـي كـل وقـت، فقـد حـدثت لبعـض المؤمنين حتى بعد الهجرة، وبعد التمكين.

أما النوع الثاني من الغربة: فهو الغربـة العامـة، وهـي الـتي يتضـح فيهـا بصـورة أشـمل معنـى "غربـة الإسـلام" حيـث كـان المسـلمون غرباء بدينهم، يلقون -جميعًا- البطـش، والتنكيـل من المشركين دون أن يجدوا الحمايـة، ودون أن يســتطيعوا الــدفع عــن أنفســهم، كمــا حــدث للمسلمين قبل هجرتهم إلى المدينة.

وهذه كانت الغربة القاسية التي عاناها كل مسلم؛ بدءًا بالرسول صلى الله عليه وسلم، ثم كبار أصحابه من ذوي المكانة في قومهم، ثم المستضعفين الذين كانت تصب عليهم سياط العذاب صبًا، ويصهرون في رمضاء مكة الحارة، وتلقى عليهم الصخرات العظام، وتكوى جلودهم بالنار، ويقيد بعضهم بقيد، ثم يسلم للصبيان يجرونه ويعبثون به..!

وقد اتخذت هذه الغربة مظاهر شتى منها:

1- الاستسرار بالدعوة:

فقد مكث الرسول صلى الله عليه وسلم منذ أنزل الله عليه الوحي، إلى أن بادأ قومه بالدعوة وأعلنها ثلاث سنين يدعو من يثق به سرًا، ويتصل بأتباعه سرًا لمواصلة الدعوة وتثبيتها، حيث لم يأمره الله عز وجل، بإعلان الدعوة والصدع بها[6].

وسرية الدعوة في أول أمرها كانت لحكمة ربانية لتحقيق التدرج -بالنسبة للداعي- بحيث لا يكلف بالصدع والإعلان من أول يوم، ولو كُلِّف صلى الله عليه وسلم بذلك لكان فيه من المشقة والعناء الشيء الكثير.

كما أن الداعية استطاع خلال هذه الفترة أن يستقطب عددًا من الأتباع والأنصار من أقاربه وأصدقائه، وخاصة الذين يتمكن من مسارتهم، وعرض الدعوة عليهم، وهؤلاء كانوا عونًا له على توسيع نطاق الدعوة، وتحقيق انتصارات ومكاسب جديدة لها في حدود السرية القائمة، ومن ثم فهم ومن آمن على يديهم كانوا خير ردء وسند للرسول صلى الله عليه وسلم عند جهره بالدعوة - بعد عون الله له وحفظه -.

ولكن مظهر الغربة كان ملمحًا واضحًا كل الوضوح في هذه السمة التي لازمت الدعوة ثلاث سنين - على الأقل-.

فالسرية إنما كانت لأن الدعوة في بدايتها، والبداية تعني الغربة، وعدم الإلف، خاصة حين نتذكر مدى البون الشاسع بين الصورة التي يريدها الإسلام، والواقع الذي تعيشه الجاهلية.

وتلك السرية اقتضت صعوبة تحرك الداعية في دعوته، فهو لا يخاطب إلا من يأمن شره ويثق به، وهذا يعني أن الدعوة تسير بخطوات بطيئة حذرة، كما اقتضت صعوبة المواظبة على تلقي مطالب الدعوة من مصدرها، وصعوبة تنفيذها، إذ كان الداخل في هذا الدين ملزمًا منذ البداية بالصلاة، ودراسة ما تيسر من القرآن - مثلاً - ولم يكن يستطيع أن يصلي بين ظهراني قومه، ولا أن يقرأ القرآن، فكان المسلمون يختفون في الشعاب والأودية إذا أرادوا الصلاة.

ويتصـور المسـلم اليـوم - علـى رغـم حـواجز الزمان والمكان- أولئك النفـر يخلصـون مـن أهـل مكـــة نجيّ ًا، ويتسللون بخفة وحذر، ويذهبون بعيدًا عن الناس حـتى إذا وجـدوا مطمئنًـا مـن الأرض تلفتـوا يمنـة ويسرة، ثم كّبروا..! إنها الدعوة الجديـدة الغريبـة - رغم أنها الحق-، وإنهم الأتبـاع الصـادقون الغربـاء، عرفوا ما تخفيه لهم عشيرتهم، فـآثروا الاسـتخفاء، وصبروا على مصاعبه حينًا مـن الـدهر، حـتى تنمـو الدعوة، ويصلب عودها..، وهم مع ذلك في انتظـار التوجيهات الربانية التي لو طلبت منهم أن يصرخوا بدعوتهم في نادي قريش لما ترددوا...!

عن عفيّف بن عمرو[7] رضي الله عنـه قـال: كنت امرءًا تاجرًا، وكنت صديقًا للعبـاس بـن عبـد المطلب في الجاهلية، فقـدمت لتجـارة فنــزلت على العباس بن عبد المطلب بمنى، فجـاء رجـل فنظر إلى الشمس حين مالت فقـام يصـلي، ثـم جاءت امرأة فقـامت تصـلي، ثـم جـاء غلام حيـن راهق الحلم فقـام يصـلي، فقلـت للعبـاس: مـن هـذا؟ فقـال: هـذا محمـد بـن عبـد اللـه بـن عبـد المطلب ابن أخي يزعم أنه نبي، ولم يتابعه علـى أمره غير هذه المرأة، وهذا الغلام، وهـذه المـرأة خديجة بنت خويلد امرأته، وهذا الغلام ابـن عمـه: علي بن أبي طالب، قال عفيف الكنـدي -وأسـلم وحسـن إسـلامه-: لـوددت أنـي كنـت أسـلمت يومئذ، فيكون لي ربع الإسلام[8]!.

يقول ابن إسحاق: "وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب، مستخفيًا من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها..."[9].

إنها الصورة الطَّبَعية لدعوة ناشئة، أتباعهـا لا يستكملون أصابع اليد الواحـدة، النـبي، وزوجـه، وابن عمه الناشئ في حجره!.

وقد كان عمه العبـاس رضـي اللـه عنـه مـن القلائل الـذين أثبتـت الأحـداث ولاءهـم للـدعوة، وعطفهـم علـى أصـحابها حـتى قبـل أن يـدخلوا فيها... دون أن يدرك المشركون هذا الولاء وهذا العطف إدراكًا واضحًا - خاصة في بداية الأمر-.

ولهذا كـان النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم لا يتحرج أن يطلعه على الأشياء المهمـة الخطيـرة في حركة الدعوة؛ بل أن يشركه فيها، كما حدث في بيعة العقبة.

إن الدعوة إلى الله لـم تنــزل لتكـون دعـوة سرية يخاطب بهـا الفـرد بعـد الفـرد؛ بـل نزلـت لإقامة الحجة على العالمين، وإنقاذ من شاء الله إنقاذه من الناس من ظلمات الشرك والجاهليــة إلى نور الإسلام والتوحيد.

ونزلت لتحكم الحياة البشرية، وتهيمن عليها في جميع شؤونها، وتكون ميزانًا عدلاً وقسطاسًا مستقيمًا يحكم على الأوضاع والأعمال والآراء والنظريات والأشخاص بالحكم العدل النابع من وحي الله وتنزيله.

ولذلك كشف الله تعالى عن حقيقة هذه الدعوة وميدانها منذ خطواتها الأولى، فحين كانت الدعوة محصورة بين شعاب مكة وجبالها، تعاني آلام البداية والغربة - وهي آلام تذيب الفؤاد- كان القرآن ينزل ببيان شمول الدعوة وعالميتها: **(إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)**[10]، **(وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)**[11]، **(إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ)**[12].

وهذا الذكر - أو الذكرى- يقصد به مخاطبة هؤلاء الناس بالدعوة وتوجيهها إليهم، والإبانة عن مضمونها بينهم، بحيث يتمكنون من معرفتها على حقيقتها، ثم يقبلونها أو يردونها عن علم وإدراك.

ولذلك جاءت آيات أخر تخص الذكر والذكرى للمؤمنين، أو للعابدين، أو للمتقيـن، أو للمنيـبين، أو لأصـحاب القلـوب...، إذ إن هـؤلاء هـم الـذين ذُكروا فتذكروا، ووعظوا فاتعظوا، ودعوا فآمنوا.

والدعوة جاءت لهذا وذاك.. جاءت لتخـاطب البشر -كل البشر- ولتنقذ منهـم مـن سـبقت لـه من الله الحسنى.

وهذا يعني -بداهـة- أن الـدعوة جـاءت ومـن خصائصـها: الإعلان، والصـدع، والبلاغ، والبيـان، والإنذار، وتحمل ما يترتب على هذا من التكذيب، والإيذاء، والقتل، وغيره.

وإذا ظهرت هذه السمة والخصيصة - قضـية عامة أصلية- بان دون خفـاء أن استسـرار النـبي صلى الله عليه وسـلم فـي دعـوته أول الأمـر، إنمـا هـو حـال اسـتثنائي، لظـروف وملابسـات خاصـة، هـي ظـروف بدايـة الـدعوة، وضـعفها، وغربتها، وينبغي أن يفهم ضمن هذا الإطار.

وإن كــان الكتمــان والاستســرار سياســة مصلحية في كثير من أمور الإسـلام فـي الحـرب والسلام، فهو كذلك فـي موضـوع الـدعوة، لكـن لابد أن ندرك الفرق بين مسـألة الـدعوة وسـائر المسائل الأخرى.

فالاستسرار بالدعوة كلها أمر مخالف للأصـل الثـابت المسـتقر، فلا يجـوز اللجـوء إليـه إلا عنـد الضرورة، وأعني بالدعوة بيان دين اللـه وشـرعه وحكمه.

أما الاستسرار بما سوى ذلـك مـن الوسـائل والخطط والتفصيلات، فهو أمـر مصـلحي خاضـع للنظر والاجتهاد البشري، إذ لا يترتب عليه كتمان للدين، ولا سكوت عن حـق، ولا يتعلـق بـه بيـان، ولا بلاغ.

ومــن ذلــك - مثلاً- معرفــة عــدد الأتبــاع المـؤمنين بالـدعوة، فهـذا أمـر مصـلحي لا يخـل بقضية البلاغ والنذارة التي نزلت الكتـب وبعثـت الرسل من أجلها، فيمكـن أن يظـل سـرًّا - مـتى كانت المصلحة في ذلك-، مع القيام بأمر الدعوة والتبليغ.

ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم حتى بعد أن صدع بدعوته، وأنذر الناس وأعلن النبوة؛ ظل يخفي أشياء كثيرة لا تؤثر على مهمة البلاغ والبيان، كعدد أتباعه، وأين يجتمع بهم، وما هي الخطط التي يتخذونها إزاء الكيد الجاهلي؟ ومن ذلك قصة الهجرة وهي في الصحيحين، ومرَ تخريج طرف من حديثها.

وبعد هذا العرض المجمل يتضح جانب من الغربة الخاصة والعامة، التي واجهتها الدعوة بذاتها، وواجهها الداعية الأول صلى الله عليه وسلم، ومن معه من الأفراد القلائل، وعموم هذه الغربة وإطباقها وهي أشد ما يتصور في غربة الإسلام، أن يضطر المسلم الداعية إلى كتمان إيمانه.

2- قلة الأتباع:

ولقد كان من النتائج الطبعيـة لجـدة الـدعوة وحــداثتها وســريتها، أن يكــون أتباعهــا أفــرادًا معدودين - أول أمرهم -، وكان هـذا مظهـرًا مـن مظاهر الغربة. فكان عفيّف الكنـدي رضـي اللـه عنه يتمنى لـو أسـلم ليكـون ربـع الإسـلام - كمـا سبق - لكننا نجد من الصحابة غيره من يقول إنه فعلاً كان ثلث الإسلام، أو ربع الإسلام، أو خمسه، أو سدسه!.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال:

ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام[13].

وهذا عمرو بن عبسة رضي الله عنه يحسـب أنه كان ربع الإسـلام، وفـي سـياق خـبره عـرض جوانب عديدة في الغربة، والقلة، والذلة:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيًا، جرءاء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: **أنا نبي**، فقلت: وما نبي؟ قال: **أرسلني الله**، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: **أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء**، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: **حر وعبد** (قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به)، فقلت: إني متبعك، قال: **إنك لا تستطيع يومك هذا!. ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني**. قال: فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وكنت في أهلي، فجعلت أتخبر الأخبار، وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم علي نفر من أهل يثرب، من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراع، وقد

أراد قـومه قتلـه فلـم يسـتطيعوا ذلـك، فقـدمت المدينـة، فـدخلت عليـه، فقلـت: يـا رسـول اللـه أتعرفني؟ قال: نعم. **أنت الذي لقيتني بمكــة**؟ قال: فقلت بلى[14]...

لقد فهم عمرو رضي الله عنه أول الأمر من قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله: من معك؟ قال: حر وعبد، فهم منها أن أتباعه اثنان: حر وعبد فحسب، والظاهر أن هذا كان من ضـمن الاحتياطات السرية التي اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم لحماية دعوته وأتباعها، وأنه يقصـد أن أتباعه ما بين حر وعبد، فبعضـهم أحـرار، وبعضـهم عبيد، فيدخل فـي الأحـرار: خديجـة، وعلـي، ومـن كان أسلم قبـل عمـرو، ويـدخل فـي العبيـد: بلال، وياسر، وعمار وغيرهم.

ولذلك كان عمرو يقول: "لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام"[15].

ومثـل هـذا يمكـن أن يقـال فـي قـول سـعد رضي الله عنه أنه كان ثلث الإسلام. وعن عمــار بن ياسر رضي الله عنه قال: رأيـت رسـول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبــد وامرأتان وأبو بكر[16].

وليس مراد عمار - أيضًا- إلا من أظهر إسلامه وعرف به، وإلا فقد كان حينئذ جماعة ممن أسلم، ولكنهم كانوا يكتمون إسلامهم[17].

ولعل من أسباب ما يقع من الاضطراب في تحديد السبق إلى الإسلام، ومعرفة الأعداد بالتحديد أن الإسلام كان سرًا، وكان الداخل لا يعرف إلا النبي صلى الله عليه وسلم، أو فردًا، أو فردين ممن حوله، فكان كل واحد يخبر عما يعتقد، وإن لم يكن الأمر على ما أخبر في الواقع.

فإن كان عَرَفَ - بعدُ- أنه سُبِق، أخبر عما كان يعتقد فقال إنه كان يظن أنه ربع الإسلام، أو ثلث الإسلام - بهذا المعنى-.

وإن لم يعرف بعدُ ظل يحدث عما يعلم ويرى، ولو كان الأمر بخلافه. وثمة سبب آخر: وهو تقارب فترة إسلامهم؛ ولذلك يقول سعد: "ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه"[18].

ومهمـا يكـن مـن أمـر فـإن الـداخلين فـي الإسـلام كـانوا أفـرادًا قلائـل، ولـم يكـن ثـم مـن الفرص ما يتيح لهم مجـال الاتصـال القـوي فيمـا بينهم بسبب الحصار الشديد الذي تفرضه قريش على الدعوة الجديدة وأتباعها.

ولكن هذه القلة القليلة كانت ذات أثر عظيم فـي حاضـر الـدعوة ومسـتقبلها، وقـد انطلقـوا يحملون هـذه الـدعوة بحمـاس شـديد، ويـدعون إليها من يسـتطيعون لا يحـول بينهـم وبيـن ذلـك حائل، إلا أن تكـون القيـود الحديديـة الـتي تثقـل قريش بها أقدام الأرقاء من المؤمنين.

ولقد أسلم على يدي رجل واحد - هو أبو بكـر رضي الله عنه- عـدد كـبير مـن مـبرزي الصـحابة ومقدميهم؛ كالزبير بن العوام، وعثمان بن عفـان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبـد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهم أجمعين[19].

لقد كان الرجل يسمع من النـبي صـلى اللـه عليه وسلم الآية والآيتين، ويتشهد شـهادة الحـق ثم ينطلق من ساعته داعية إلى دين الله.

وهذه صورة عظيمة من صور الانفعـال بهـذا الدين، والاستجابة لله وللرسول صلى الله عليــه وسلم.

صورة المؤمن الذي لا يقر له قرار، ولا يهدأ له بـال، حـتى يحقـق فـي واقـع الحيـاة مـا يشـبع بـه الوجدان، من حـرارة الإيمـان، دون أن يكـون هـذا الانطلاق دفعة عاطفيـة مؤقتـة سـرعان مـا تخمـد وتخبو وتزول، وشـبهها مـا حكـاه اللـه تعـالى عـن مؤمني الجن في قوله: **(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ▪ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَـدَيْهِ يَهْـدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ▪ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ▪ وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ)**[20].

إنهـم يسـتمعون فينصـتون، فـإذا قضـي لـم يكتفوا بالإيمان به فحسب؛ بل يزيدون على ذل ك أن يتحولوا إلى "منذرين"، تتحرك فـي نفوسـهم روح النذارة والدعوة والبلاغ.

وليس يهم: هل استجيب لهم أم لا؟ بل ليس يهم: هل مُكّنوا من الإنذار أم لا؟ إنما المهم أنهم ولـوا منـذرين، تمتلـئ نفوسـهم بالإشـفاق علـى قومهم، والرغبة في هدايتهم.

وهذا كـان شـأن أصـحاب النـبي صـلى اللـه عليه وسلم أجمعيـن، حـتى المقيـدين المكبليـن المعذبين، ما كان فيهم مـن رضـي أن يكـون هـو بنفسه مسلمًا ثم يدع أمر الناس للناس.

لقد خالطت بشاشة الإيمان وحرارته وتوقده شــغاف قلــوبهم، فتحركــت الجــوارح بالطاعــة والاستجابة.

ولــذلك فقــد كــانوا قليلاً عــددهم، عظيمًــا شأنهم، حيًّا إيمـانهم. وإنـك لتعجـب حيـن تتأمـل أسماء الطليعة الأولى مـن جيـل الصـحابة ممـن آمن في أول البعثة، فتجد الأسماء نفسـها ظلـت في المقدمة إلى أبد الدهر، ومنهـا كـان رجـالات الحكم والسياسة والحرب، وأئمـة العلـم والفقـه والفتيــا، والمقــدمين فــي ســائر أمــور الــدنيا والدين!.

ومن هؤلاء كان أبـو بكـر، وعلـي، وسعد بـن أبي وقاص، ومصعب ابن عمير، وغيرهم كثير.

وهذه القلة المؤمنة المغتربـة، كـانت تشـعر شعورًا عميقًا بالغربة، ولكن هذا الشعور كان من نوع خاص، غير ما يعتاده الناس.

فالغريب - عادة- يشعر بالذل، ويقنع باليســير، ويرضى بالدون، كما قيل:

إن الغـريب لـه استكانة مذنب
وخضـــوع ذي دَيْـــن، وذل مُريبِ[21]

أما الغرباء الأولون من أتباع النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم فلم يكونوا كذلك على رغم شدة غربتهم، وأن أكثرهم كانوا من المستضعفين والعبيد.

لقد نفخ فيهم الإسلام روح العزة والكرامة، وأيقظ لديهم الشعور بإنسانيتهم المكرمة المختارة، ومنحهم من الاستعلاء بالإيمان، ما جعلهم يضربون أروع الأمثلة في الصبر والتحمل والثبات على الدين.

وغرس في قلوبهم من الإيمان بالآخرة ونعيمها، ما جعل الدنيا - في أعينهم- هينة زهيدة، تبذل رخيصة في مرضاة الله.

كما أعطاهم من الثقة والاطمئنان لمستقبل هذا الدين، ما جعلهم يتحملون مرارة الواقع الأليم تطلعًا للمستقبل الذي وعد الله به المؤمنين، رجاء أن يكتب الله على أيديهم نصر هذا الدين وإعزازه.

ولقد كان دخول الواحد منهم في الإسلام، وشعوره بالقرب من الله، وأنسه بربه، وحياة قلبه وقرة عينه بسماع القرآن؛ سببًا في شعورهم الحقيقي بالتميز عن الجاهلية من حولهم، الجاهلية التي تضج بالفوضى، والفساد، والجفاف، والانحلال.

فكان يصاحب شعورهم بالغربة، شعور بالتميز والاستعلاء والفوقية على الكافرين، ثم شعور بوجوب غزو هذا المجتمع الجاهلي، وتقويض أركانه؛ ولذلك لم تؤثر فيهم تلك الغربة آثارًا سلبية، ولم تضعف من يقينهم وحرارة إيمانهم؛ بل كانت تشكل "التحدي" الذي يثير المشاعر، ويستفز الطاقات، ويفجر القدرات.

وهذا يدعو - مرة أخرى - للتأكيد على الفرق الواضح بين غربة الحنفاء في الجاهلية، وغربة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

إن غربة أولئك كانت النهاية، فهم نماذج باقية تتقلص يومًا بعد يوم ولا تكاد تفكر بالإصلاح والتغيير، فيصدق عليهم قول القائل:

إذا ما مضى القرن الذي أنت فيهم

وخلفت في قـرن فـأنت غريب!

أما غربة هؤلاء فهـي غربـة البدايـة، والبدايـة مليئــة بالآمــال والمطامــح، والمشــاعر القويــة الفياضة، ومليئـة بالعمـل، والتحـرك، والانطلاق؛ لنشر هـذا الـدين، ودعـوة النـاس إليـه، والجهـاد لتحقيقه في عالم الواقع.

ولا شـك أن الحركـة بهـذا الـدين فـي واقـع الحياة هي مـن أعظـم أسـباب احتفـاظ الداعيـة بإيمـانه؛ بـل مـن أعظـم أسـباب نمـاء الإيمـان وزيادته، وتعمقه في القلـب، ومخـالطته لـذرات النفس.

ذلك أن الداعي الذي جعل همه دعوة النــاس إلى هذا الدين، سوف تتكيف مشاعره مع دعوته، فيحــزن مــن أجــل دعــوته، ويفــرح مــن أجلهــا، ويغضــب ويرضــى، ويحــب ويكــره مــن أجلهــا.. فتصطبغ روحه ومشاعره بهـذه الـدعوة، وتصـبح دعــوته جــزءًا لا يتجــزأ مــن حيــاته وشخصــيته وتكوينه، وهذه ضمانة قوية للصـبر والثبـات علـى هذا الدين.

هذا فوق أن الصبر والثبات منحة إلهية يهبها الله للمجاهدين في سبيله، ولهذا قال تعالى: **(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَه لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)**[22]، وذلك في سورة العنكبوت التي افتتحت بالحديث عن الابتلاء والفتنة والإيذاء في الله.

3- الاضطهاد والتعذيب:

كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم -الذين تقدم إسلامهم- عدد من ذوي المكانة في قريش؛ كأبي بكر، وعثمان، رضي الله عنهما، أما عامة أصحابه فكانوا من المستضعفين.

فأما ذوو المكانة فمنعهم الله بقومهم - كما منع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي طالب-.

وأما سائر المؤمنين فقد تفننت قريش في تعذيبهم، وكشَّرت عن أنياب الغيظ والحقد، وسلطت عليهم من سياط العذاب ما لو سلط على جبل لارفضّ وتفتت.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد.

فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر: فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا، إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه، فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد، أحد[23]!.

إن امتناع الرسول صلى الله عليه وسلم بأبي طالب، وامتناع أبي بكر بقومه..، وكذلك سائر المؤمنين من بيوتات مكة الرفيعة، كانت تمنعهم مكانتهم، ومكانة قومهم من كثير مما يقع لغيرهم من الضرب، والتنكيل، ولكن كان يخلص إليهم من ألوان الأذية الحسية، والمعنوية الشيء الكثير، فكان لابد أن يدفعوا ضريبة الغربة الناتجة عن الدخول في الإسلام. ومن الصور المؤذية لهؤلاء ما ورد في الخبر الثابت من اجتماع أشراف قريش في الحجر وتذاكرهم ما دخل عليهم من النبي صلى الله عليه وسلم فيما زعموا من تفريق الجماعة، وعيب الآلهة، وشتم الأجداد، ثم مجيء النبي صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك، وغمزهم له ببعض القول، وتهديده لهم صلى الله عليه وسلم، وأنهم اجتمعوا من الغد فلما جاءهم وثبوا إليه وثبة رجل واحد: أنت الذي تقول كذا؟ أنت الذي تقول كذا؟ كل ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : نعم فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه، فقام أبو بكر دونه يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟![24].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـائم يصـلي عنـد الكعبـة، وجمـع مـن قريـش فـي مجالسهم، إذ قال قائـل منهـم: ألا تنظـرون إلـى هـذا المرائـي؟ أيكـم يقـوم إلـى جـزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها، ودمها، وسلاها، فيجيء بـه، ثـم يمهله، حتى إذا سجد وضعه بيـن كتفيـه؟ فـانبعث أشقاهم[25]، فلما سـجد رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم وضعه بين كتفيه، وثبت النـبي صـلى الله عليـه وسـلم سـاجدًا، فضـحكوا حـتى مـال بعضهم إلى بعض من الضـحك، فـانطلق منطلـق إلـى فاطمـة - وهـي جويريـة-، فـأقبلت تسـعى، وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدًا، حـتى ألقته عنـه، وأقبلـت عليهـم تسـبهم، فلمـا قضـى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصـلاة قـال: اللهم عليك بقريش، اللهم عليـك بقريـش، اللهـم عليك بقريش، ثم سمى: اللهم عليـك بعمـرو بـن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليـد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بـن أبـي معيـط، وعمارة بن الوليد.

قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **وأتبع أصحاب القليب لعنة**[26].

إنها جريمة نكراء، تكاد السموات تتفطر منها، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدًا، أن يجرؤ الملأ من سفهاء قريش، من جثي جهنم، على هذه الشناعة البشعة القذرة الخسيسة، ثم يرى هذه الفعلة المستضعفون من المؤمنين؛ كعبد الله بن مسعود، وغيره، فلا يملكون لها دفعًا، سوى أن ينطلق منهم منطلق إلى فاطمة، وهي جويرية حديثة السن، لتزيل عن أبيها صلى الله عليه وسلم ما ألقوا عليه.

ولقد انتقم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بقتل هؤلاء السبعة المعدودين يوم بدر، وإلقاء جيفهم في القليب، حيث ناداهم صلى الله عليه وسلم: **هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ فإنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا**!.

عـن أبـي طلحـة أن النـبي صـلى الله عليـه وسـلم أمـر يـوم بـدر بأربعـة وعشـرين رجلاً مـن صناديد قريش فقذفوا في طوى من أطواء بدر[27] خـبيث مخبـث، وكـان إذا ظهـر علـى قـوم أقـام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببـدر، اليـوم الثـالث، أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى وتبعه أصحابه، وقالوا: ما نـرى ينطلـق إلا لبعـض حـاجته حتى قام على شفة الركي[28]، فجعـل ينادينهم بأسمائهم، وأسماء آبائهم: **يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكـم أطعتـم اللـه ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقّـــاً، فهـــل وجـــدتم مـــا وعـــد ربكـــم حقّاً؟.**

قال: فقال عمر: يا رسول الله! ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: **والذي نفـس محمـد بيـده مـا أنتم بأسمع لما أقول منهم**[29].

ولو ذهبت تتتبع المواقف التي أساءت فيها قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ولكبار أصحابه من ذوي المنعة والجاه؛ لطال الأمر، وفي الصحيحين فضلاً عن غيرهما من ذلك الشيء الكثير؛ بل بلغ بهم الحال أن حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلم يستطيعوا- كما سبق في حديث عمرو بن عبسة-. وقد ازداد إيذاؤهم له صلى الله عليه وسلم وتجرؤوا عليه بعد وفاة عمه أبي طالب؛ لأنه كان يحوطه ويحميه، فلما مات أقدمت قريش على ما لم تكن تقدم عليه من قبل، حتى ضيقت عليه الخناق، فصار يفكر صلى الله عليه وسلم في البحث عن موطن للدعوة خارج مكة.

أما المستضعفون من أصحابه فقد نطق قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه السابق بألوان من التعذيب لهم من إلباسهم أدراع الحديد، وصهرهم في الشمس، وطواف صبيان مكة ببعضهم في شعاب مكة ونواحيها.

وعن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: يـا أبا عباس! أكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يعذرون به في ترك دينهـم؟ فقـال: نعم، والله إن كـانوا ليضـربون أحـدهم، ويجيعـونه، ويعطشونه، حتى ما يقدر على أن يسـتوي جالسـًا من شدة الضر الذي به، حتى إنه ليعطيهـم مـا سألوه من الفتنة!.

وحتى يقولوا: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعـم. وحـتى إن الجعـل ليمـر بهـم، فيقولـون: أهـذا الجعـل إلهـك مـن دون اللـه؟ فيقـول: نعـم؛ افتـداء منهـم، لمـا يبلغـون مـن جهده[30].

وقد روت كتب السير صورًا محزنة مـن إيلام قريش للمؤمنين، وللضـعفاء خاصـة مـن العبيـد، والنساء، والشيوخ المسنين، كمـا حـدث لياسـر، وسمية، وعمار، وبلال، وخباب، وعامر بن فهيرة، والزّنّيرة، وجارية بني مؤمل، وغيرهم كثير[31].

لقد كانوا رضي الله عنهم يجهدون، وكان محمد صلى الله عليه وسلم يجهد من ورائهم ولا يملك أن يدفع عنهم شيئًا مما هم فيه، ولكنه يذكرهم بعظيم الأجر الذي ينتظرهم عند الله على صبرهم واحتسابهم، وكانوا مؤمنين حق الإيمان بما عند الله، حتى لكأنهم يرونه رأي العين.

ويذكرهم صلى الله عليه وسلم بما عاناه وقاساه من كانوا قبلهم من المؤمنين، من صنوف العذاب المُمِضِّ الأليم، من تقطيع الأوصال، ونشر اللحم بالمنشار وغير ذلك..

ويذكرهم بالمستقبل الذي وعد الله به هذا الدين وأهله، وأنه سيتم الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه.

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بياسر وعمار وأم عمار، وهم يؤذون في الله تعالى، فقال لهم: **صبرًا يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة**[32].

وعن خباب رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمر وجهه، فقال: **"لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم، أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه. وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله".** زاد بيان[33]: **"والذئب على غنمه"**[34].

يا سبحان الله! ماذا جرى حتى احمر وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقعد من ضجعته؟ وخاطب أصحابه بهذا الأسلوب القوي المؤثر، ثم عاتبهم على الاستعجال؟

لأنهم طلبوا الدعاء منه صلى الله عليه وسلم؟!

كلا. حاشاه من ذلك، وهو الرؤوف الرحيم بأمته.

إن أسلوب الطلب: ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنـا؟ يـوحي بمـا وراءه، وأنـه صـادر مـن قلـوب أمضها العذاب، وأنهكهـا الجهـد، وهـدتها البلـوى، فهي تلتمس الفـرج العاجـل، وتسـتبطئ النصـر، فتستدعيه.

وهو صلى الله عليـه وسـلم يعلـم أن الأمـور مرهونة بأوقاتها، وأسبابها، وأن قبل النصر البلاء، فالرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة[35].

(حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَـاءَهُمْ نَصْـرُنَا)[36]، ويلمـس عليـه السلام م ن واق ع أص حابه، وملابس ات أح والهم، بَرَمَهم بالعذاب الذي يلاقـون، حـتى ليفتنـون عـن دينهم، ويستعلي عليهم الكفرة، ويموت منهم من يموت تحت التعذيب.

وقد لا يكون مـن الميسـور أن يـدرك المـرء - بمجرد قراءة النص- حقيقة الحال التي كانوا عليها حيـن طلبـوا منـه عليـه الصـلاة والسـلام الـدعاء والاستنصار، ولا أن يعرف المشاعر والإحساسـات التي ك انت تث ور ف ي نفوس هم إلا أن يعي ش ح الاً قريبًا من حالهم، ويعاني - في سبيل اللـه - بعـض ما عانوا.

لقد كان صلى الله عليه وسلم يربيهم على:

(أ) التأسي بالسابقين من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم في تحمل الأذى في سبيل الله، ويضرب لهم الأمثلة في ذلك.

(ب) التعلق بما أعده الله في الجنة للمؤمنين الصابرين من النعيم، وعدم الاغترار بما في أيدي الكافرين من زهرة الحياة الدنيا.

(ج) التطلع للمستقبل الذي ينصر الله فيه الإسلام في هذه الحياة الدنيا، ويذل فيه أهل الشرك والعصيان.

وثمة أمر آخر كبير ألا وهو: أنه صلى الله عليه وسلم - مع هذه الأشياء كلها- كان يخطط ويستفيد من الأسباب المادية المتعددة، لرفع الأذى والظلم عن أتباعه، وكف المشركين عن فتنتهم، وإقامة الدولة التي تجاهد في سبيل الدين، وتتيح الفرصة لكل مسلم أن يعبد ربه حيث شاء، وتزيل الحواجز والعقبات التي تعترض طريق الدعوة إلى الله.

قال تعالى: **(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لله)**[37]، فالمسلم يعبد الله بالصبر والتحمل، ويعبده باتباع جميع الوسائل المؤدية -بإذن الله- إلى دفع الغربة عن المؤمنين، ورفع الضر عن المستضعفين.

4- الحصار والتضييق:

ولقد سلكت قريش ومن يتابعها -ضمن خططها الجاهلية للاضطهاد والتعذيب وفتنة المسلمين عن دينهم -أساليب دنيئة يربأ الإنسان -جنس الإنسان- عنها، لكن مَنْ قال إن الجاهلية تعرف للإنسانية معنى؟!

لقد كانت العرب عامة -وقريش خاصة- تتغنى بالكرم والجود والبذل والعطاء، وتعتبر هذه الخصلة من مواطن الفخر، والمنافسة، والسباق.

يقول الشاعر العربي يمدح بعض الكرماء:

إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت
ونال كرامَ المال في السنة الأكلُ

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم

قطينـا لهـم، حـتى إذا أنبـت البقـلُ..

هنالك إن يستخبلوا المال يُخبِلوا
وإن يســـألوا يعطُـــوا، وإن ييسروا يغلوا

على مكثريهم حق من يعتـريهم
وعنـــد المقليــن السمـــاحة والبـذلُ!

فما كان من خير أتـوه فإنمـا
توارثـه آبـــاءُ آبائـــهم قبـــلُ!
(38)

وكـان فـي قريـش - خاصـة- كرمـاء أجـواد مطعمون، منهم عبد الله ابن جُـدْعان، وكـان لـه داعيان يدعوان إلى طعامه وضيافته، وفيه يقـول أمية ابن أبي الصلت:

لـه داع بمـكة مشـمعـلٌ
وآخـر فـوق دارتهـا ينادي

إلى ردح من الشِّـيزَى عليهـا
لبـاب الـبُر يُلبك بالشـهاد!

ومنهم هشام بن المغيرة - والد أبـي جهـل - وفيه يقول الشاعر:

فأصبـح بطن مكة مقشعـرًّا
كأن الأرض ليس بها هشام!

(39)

وقد سـجل التاريـخ لهـم مـن قصـص الجـود والكرم والعطاء ما يشبه الخيال[40]!.

فلمّا جهر الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته، واستحكمت عدواته في نفوسهم؛ نسوا كل ما تعارفوا عليه من جميل الخصال، وأصبح الذين يطعمون الضيفان، ويلتمسون المحتاجين والمعوزين؛ يبخلون بالحقوق على الجيرة والقرابة، ويمنعونهم الميرة والطعام بالقيمة، ويحاصرونهم سنتين أو ثلاثًا في الشعب - شعب أبي طالب- حصارًا اقتصاديًا واجتماعيًا، حتى ليضطرونهم إلى أكل ورق الشجر، وحتى ليصيبهم ظلف العيش وشدته، إلى حد أن أحدهم يخرج ليبول فيسمع بقعقعة شيء تحته، فإذا هي قطعة من جلد بعير فيأخذها فيغسلها، ثم يحرقها، ثم يسحقها، ثم يستفها، ويشرب عليها الماء، فيتقوى بها ثلاثة أيام[41]! وحتى لتسمع قريش صوت الصبية يتضاغون من وراء الشعب من الجوع!.

عن خالد بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: ... ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت[42] أشداقنا، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك[43]، فاتزرت بنصفها، واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميرًا على مصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيمًا، وعند الله صغيرًا[44].

وهذه القصة يشبه أن تكون حدثت أثناء الحصار في الشعب - والله أعلم-؛ إذ كان عتبة من السابقين إلى الإسلام[45]، ومثله كان سعد بن أبي وقاص.

لقد أجمعت قريش على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقاطعته اجتماعيًّا واقتصاديًا، فاجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني عبد المطلب ألا يناكحوهم ولا ينكحوا إليهم، ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم، وكتبوا صحيفة في ذلك.. ثم عدوا على من أسلم، فأوثقوهم، وآذوهم، واشتد البلاء عليهم، وعظمت الفتنة، وزلزلوا زلزالاً شديدًا[46].

وكان القرشيون عقدوا هذا الاتفاق في خيف[47] بني كنانة، فلما أذن الله بنصر دينه، وإعزاز رسوله، وفتح مكة، ثم حجة الوداع، كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤثر أن ينزل في هذا الخيف ليتذكر ما كانوا فيه من الضيق والاضطهاد، فيشكر الله على ما أنعم عليه من الفتح العظيم، ودخولهم مكة - التي أخرجوا منها- ظاهرين، على رغم أنف من سعى في إخراجهم منها من الكافرين، وليؤكد قضية انتصار الحق واستعلائه، وتمكين الله لأهله الصابرين[48].

(وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)[49].

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قـال: قلـت: يا رسول الله! أين تنـزل غدًا؟ - في حجتـه-، قـال: "**وهل ترك لنا عقيل منـزلاً**؟". ثـم قـال: "**نحـن نـازلون غـدًا بخيـف بنـي كنانـة المُحصب، حيـث قاسـمت قريـش علـى الكفـر**".

وذلك أن بني كنانة حالفت قريشًا على بني هاشم: ألاّ يبايعوهم ولا يؤووهم.

قال الزهري: والخيف: الوادي[50].

وعن أبي هريرة رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد حنينًا: "**منـزلنا غدًا إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر**"[51].

وهـذه الخطـة الجاهليـة: خطـة الحصـار والتجويـع، ممـا يتواصـى بـه أعـداء الرسـل مـن الكفار والمنـافقين عـبر العصـور: **(هُمُ الَّـذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْـدَ رَسُـولِ الله حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلله خَزَائِنُ السَّـمَوَاتِ وَالأرْضِ وَلَكِـنَّ الْمُنَـافِقِينَ لا يَفْقَهُـونَ)**[52].

وهذه المؤامرة الجماعية -مـؤامرة الشـعب- لم تكـن هـي الكيـد الوحيـد فـي مجـال التضـييق والمحاصـرة، كلا. بـل لقـد دأب عتـاة الجاهليـة ومَرَدَتُها على الاسـتخفاف بحقـوق مـن أسـلموا، وعلـى ألا يرقبـوا فيهـم إلاًّ ولا ذمـة، وعلى أن يتناسـوا فـي سـبيل إيـذائهم جميـع الأعـراف والتقاليـد المرعيـة، حـتى لقـد منعوهم حقوقهم المالية من الديون وغيرها..!

عن خباب رضي الله عنه قال: "كنت قينًـا[53] في الجاهليـة، وكـان لـي علـى العـاص بـن وائـل دراهـم، فـأتيته أتقاضـاه، فقـال: لا أقضـيك حـتى تكفـر بمحمـد! فقلـت: لا واللـه، لا أكفـر بمحمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم حـتى يميتـك اللـه ثـم يبعثك، قال: فدعني حتى أموت ثم أبعث، فـأوتى مالاً وولدًا، ثم أقضيك، فنـزلت: **(أَفَرَأَيْتَ الَّـذِي كَفَـرَ بِآيَاتِنَـا وَقَـالَ لأُوتَيَـنَّ مَـالاً وَوَلَـدًا)**[54]"[55].

ولقد آثر هؤلاء المؤمنون ما عند الله، فطويت عنهم الدنيا فعاشوا في شظف من العيش كان أفضل عندهم من التقلب على فرش الحرير والديباج؛ لأنه أثر من آثار طاعة الله، والرضا بدينه، ورسوله، فقد استعذب القوم في سبيل دينهم كل مرّ، واستساغوا كل علقم، ولسان حالهم يقول:

رضيت في حبك الأيام جائرة
فعلقم الدهر إن أرضاك كالضرب!

فكانت العاقبة لهم في الدنيا والآخرة.

وكان هذا جانبًا من الخير الكثير الطيب الذي وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم به الغرباء حين قال: "**فطوبى للغرباء**".

إن كل ما يلقاه الغريب من تضييق وحصار وإيذاء واضطهاد، هو رفعة له، وزيادة في درجاته، وصبره عليه قربى إلى الله، واحتسابه له سبب للسعادة والأنس، والروح، والنعيم العاجل والآجل.

5- انحصار دعوة الإسلام في بيئة واحدة:

لقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم في أم القرى لينذرها ومن حولها، وينذر يوم الجمع لا ريب فيه، وجاء برسالة ربانية ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فلم تكن دعوته دعوة إقليمية، أو محلية؛ بل كانت منذ أولها دعوة عالمية، موضوعها الإنسان -جنس الإنسان- كيف كان، وميدانها الأرض -كل الأرض-، ومهمتها إصلاح الحياة البشرية في جميع جوانبها الفردية والاجتماعية .

ولقد واجه الرسول صلى الله عليه وسلم مجتمع مكة بالدعوة، فلقي منهم ما لقي من التكذيب والتعذيب، ولقي أصحابه من الاضطهاد، والتنكيل، والتكبيل، ما هو فتنة للتابع، وصد لغيره، وحيلولة دون انطلاق الدعوة وانتشارها.

ولقد ظلت الدعوة محصورة بين أخشبي مكة، لا يؤمن بها خارجها إلا الفرد بعد الفرد؛ كعمرو بن عبسة، وأبي ذر رضي الله عنهما حتى أذن الله بإسلام الأنصار، وقيام الدولة.

وكان انحصار الدعوة في مكة من مظاهر الغربة الشديدة؛ لأسباب عديدة:

(أ) لأن هــذا يعنــي احتجــاب الــدعوة عــن الآخرين ممـن يمكـن أن يكونـوا أكـثر قبـولاً لهـا ، وإقبالاً عليها.

(ب) ولأن هذا يغـري قريشـًا بالضـراوة فـي حرب الدعوة، والحماسة في صـد النـاس عنهـا، وفتنة المؤمنين بها، إذ يشعرون بأن الدعوة تحـدّ خاصّ يواجه قريشًا، ومهمة القضاء عليها موكولة إليهم.

(ج) ولأن هـــذا يعـــرِض الدعوة لخطر الزوال، ويعرض أتباعها للإبــادة على يد القرشيين؛ لأنهم عدد قليـل محصـور فـي مكان واحد تسيطر عليه فئـة معينـة، ذات عقليـة معينة، من الممكن أن يصل بها التفكيـر إلـى حـد التخطيط لقتل الرسول صلى الله عليه وسـلم، وجميع أتباعه؛ بل حدث هذا فعلاً[56].

وهذا شأن الكافرين المعانـدين: **(إِنَّهُـمْ إِنْ يَظْهَـرُوا عَلَيْكُـمْ يَرْجُمُـوكُمْ أَوْ يُعِيـدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا)**[57].

ونحـن جميعًـا نعلـم - الآن- أن هـذا لـم يكـن ليكون، وأن الله بعث رسـوله صـلى اللـه عليـه وسلم، وأنزل دينه لأمر لابـد أن يتـم، وأن الوعـد بإعزاز الإسلام، ورفع شأنه، كان قديمًا منذ فجـر الدعوة..

ولكن حتى الرسل عليهـم الصـلاة والسـلام، كانوا مطالبين بفعل الأسباب الدافعة للمفسـدة، تحقيقًا لمعنى كبير مـن معـاني العبـادة، وتعليمًـا لمن بعدهم ممن يتأسى بهم ويستنّ.

وتحقيقًا لمعنـى مـن معـاني بشـرية الرسـول صلى الله عليه وسلم الـذي يتصـرف فـي سـائر شؤونه باعتبـاره رسـولاً بشـرًا، فلا يكـون ثمـة أي تناقض بين إيمانه بالوعد الإلهي، وبين سعيه بالجهد البشري ومحاذرته من الإخفاق؛ لأن الوعـد الإلهـي إنما كان لأن الرسول عليـه الصـلاة والسـلام بهـذا القدر، وعلى هذه الصفة.

وهذا يشبه حـال الصـحابة الـذين شـهد لهـم النبي صلى الله عليه وسلم بدخول الجنة.. كيـف كانوا بعد هذه الشهادة؟ هل اطمأنوا بهـا وتركـوا العمل لأنها شهادة حق وصدق، ولا ريب فيها، ولا يمكن أن تتخلف؟؟

أم ظلوا على ما هم عليه من بذل الجهد البشري المطلوب في العبادة، وتوقي أسباب دخول النار، والخوف والحب والرجاء؟.

لا شك أنهم ظلوا بشرًا يتصرفون بمقتضى الجبلة البشرية الفطرية، فيرجون ويخافون، ويفعلون الأسباب، مع ثقتهم بالوعد؛ ولهذا كان الوعد، وبهذا استحقوا رحمة الله لهم بالجنة.

وهذه كهذه سواء، ومثلها كثير..

ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم حتى بعد الهجرة إلى المدينة، واستقرار الدعوة فيها، وكسرها للطوق الذي أحاطها به القرشيون، ووجدانِها الفئةَ التي تؤويها، وتحميها، يشعر صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى؛ معنى انحصار الدعوة في بيئة واحدة، وفي فئة واحدة، لو استؤصلت لانتهت الدعوة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مئة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مدّ يديه، فجعل يهتف بربه:

"اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض"!.

فمازال يهتف بربه، ماد ًا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله! كَفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: **(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ)**[58]، فأمده الله بالملائكة[59]..

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بمقتضى بشريته يحاذر فناء المسلمين، وهلاك هذه العصبة من المؤمنين، فيجأر بهذا الدعاء الحار، ويهتف بربه، ويناشده حفظهم ونصرهم، فيرى الصديق الأول رضي الله عنه في هذا الموقف النبوي العظيم آية من آيات النصر المبين، فينادي بالنبي صلى الله عليه وسلم: كفاك - أو كذاك- مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك.

فتلتقي في هذا الموقف آيتان:

آية الإيمان بوعد الله ونصره وتمكينه.

وآية فعل الأسباب البشرية لتحصيل هذا النصر، والتي منها الدعاء والتضرع.

لقد كان يقض مضجع النبي صلى الله عليه وسلم انحصار الدعوة في مكة، وبين قريش المتأبية على الدعوة، المعارضة لها، فيلتمس الأسباب التي يخرج فيها بدعوته عن هذه الدائرة الضيفة إلى أفق أوسع وأرحب.

فيوجه أصحابه إلى الهجرة الأولى ثم الثانية إلى الحبشة.

ثم يخرج إلى الطائف يطلب النصرة من ثقيف.

ثم يعرض نفسه على القبائل في الأسواق والمواسم، ويعلن عن بضاعته السماوية على الملأ.

حتى إذا واتته الفرصة بإسلام الأنصار اغتنمها، ووجه بعض أصحابه إلى المدينة، تمهيدًا لهجرته صلى الله عليه وسلم إليها[(61)]

وكل هذا جـزء مـن الجهـد الـذي بـذله النـبي صلى الله عليه وسلم باعتباره قائدًا لهذه الدعوة المباركـة، وأصـحابه مـن ورائـه؛ لحمايتهـا مـن الاضـمحلال والـزوال، وتحقيـق وعـد اللـه لهـا بالنصر والتمكين.

ولقـد امتـن اللـه عليهـم آخـر الأمـر بـالإيواء والتأييد والرزق بعد التشرد والضعف والعيلة:

(وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأرْضِ تَخَـافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُـمُ النَّـاسُ فَـآوَاكُمْ وَأَيَّـدَكُمْ بِنَصْـرِهِ وَرَزَقَكُـمْ مِـنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[62].

وسيتضح -إن شاء الله- فـي الفصـل القـادم، كيف حصل المؤمنون على هذا النصر؟ ومـا هـي الخطوات والمراحل التي اجتازوهـا قبـل مرحلـة التمكين؟ وكيف تعـاملوا مـع الأحـوال والأوضـاع المعارضة لهم.. حتى صنع الله بهم مـن الضـعف قوة، ومن الذلة والقلة عزًّا ونصرًا.

* * *

هوامش الفصل الثاني

[1] هو: أصحمة بن أبجر، واسمه بالعربية: عطية، والنجاشي لقب له، مات سنة تسع وقيل قبل ذلك.

انظر: الإصابة: (1/177).

[2] رواه البخاري في: 23- كتاب الجنائز، 4- باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه: (2/71).

55- باب الصفوف على الجنازة (2/88).

61- باب الصلاة على الجنائز بالمصلى (2/90).

وفي: 63ـ كتاب مناقب الأنصار، 38- باب موت النجاشي: (4/246).

ومسلم في: 11- كتاب الجنائز، 22- باب في التكبير على الجنازة، رقم (62-63)، (2/656).

وأبو داود في: 15- كتاب الجنائز، 62- باب في الصلاة على المسلم يموت في بلاد الشرك، رقم (3204)، (3/541).

والترمذي في: 8- كتاب الجنائز، 37- باب ما جاء في التكبير على الجنازة، رقم (1022)، (3/333).

والنسائي في: 20- كتاب الجنائز، 27- باب النعي، (4/26).

72- الصفوف على الجنازة: (4/70).

76- عدد التكبير على الجنازة: (4/72).

وابن ماجه في: 6- كتاب الجنائز، 33- باب ما جاء في الصلاة على النجاشي، رقم (1534): (1/490).

ومالك في الموطأ: 16- كتاب الجنائز، 5- باب التكبير على الجنائز، رقم (14): (1/226).

وأحمد في مسنده: (2/241، 281، 289، 348، 439، 479، 529).

والحـديث ورد عـن جـابر بـن عبـد اللـه فـي البخــاري: (2/88)، (4/246).

ومسلم: (2/657)، والنسائي: (4/69،70)، وأحمد: (3/295، 319، 355،361، 363، 369، 400)، والخطيب في الأسـماء المبهمـة، حديث أصحمة: ص (21).

وعـن عمـران بـن حصـين فـي: مســلم: (2/657)، والترمـذي: (3/348)، والنسائي: (4/70)، وابن ماجه: (1/491)، وأحمد: (4/43، 1،433،439،441،446).

وابن عباس في المسند: (1/254).

[3] وابن عمر في ابن ماجه: (1/254).

وجرير بن عبد الله في المسند (4/360-363).

ومجمع بن جارية الأنصاري فـي ابـن مـاجه: (1/491)، والمسـند: (4/64)، (5/376).

وحذيفيـة بـن أسـيد الغفـاري فـي المسـند: (4/7)، ثلاثـة مواضـع.. وغيرهم.

وهذه الروايات الصحيحة المتكاثرة تؤكـد إسـلام النجاشـي ومتـابعته للرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم فلـم يكـن ليصـلي عليـه ويـأمر بالاستغفار له ويسميه أخًا لولا أنه مسلم، كيف وقـد نُهـي صـلى اللـه عليه وسلم عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى.

ففيها رد صريح على من نفى إسلامه، أو تشكك فيه، وهي -كما رأيت - في درجة عليا من الثبوت والله أعلم.

(3) انظر: من المواضع السابقة: البخاري: (2/2/90)، وانظر - أيضًا-: معالم السنن للخطابي: (1/310).

[4] رواه البخاري في: 10 - كتاب الأذان، 128 - باب يهوي بالتكبير حين يسجد: (1/195).

56- كتاب الجهاد، 98- باب الدعاء على المشركين (3/233).

60- كتاب الأنبياء، 19- باب قول الله تعالى: لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين: (4/122).

65- كتاب التفسير، 9- باب ليس لك من الأمر شيء (5/171).

21- باب قوله: فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم: (5/183).

78- كتاب الأدب، 110- باب تسمية الوليد (7/118)، 80- كتاب الدعوات، 58- باب الدعاء على المشركين: (7/165).

ومسلم في: 5- كتاب المساجد، 54- باب استحباب القنوت في جميع الصلاة، رقم (294-295) ، (1/466-468).

وأبو داود: 2- كتاب الصلاة (تفريع أبواب الوتر)، 345- باب القنوت في الصلوات، رقم (1442)، (2/142).

والنسائي في: 11- كتاب الافتتاح، باب القنوت في صلاة الصبح (2/201-202).

وابن ماجه في: 5- كتاب إقامة الصلاة، 145- باب ما جاء في القنوت في صلاة الفجر، رقم (1244) ، (1/349).

والدرامي في:2- كتاب الصلاة، 216- باب القنوت بعد الركوع رقم (1603)، (1/312).

والإمام أحمد في: (2/239، 255، 271، 396، 418، 470، 502، 521).

وابن خزيمة في صحيحه - كتاب الصلاة - 161- باب القنوت بعد رفع الرأس من الركوع.. رقم (615)، (1/311).

163- باب القنوت في صلاة العشاء الأخيرة، رقم (617): (1/31 2).

165- باب ذكر البيان أن النبي صلى الله عليه وسلم لـم يكـن يقنـت دهره كله، رقم (619).

166- باب ترك القنوت عند زوال الحادثة.. رقم(621).

والبيهقي في: كتاب الصلاة، باب القنوت في الصلاة عند نزول نازلـة (2/197-198).

[5] انظر: تفصيل قصـة احتبـاس المستضـعفين، واسـتدراج المشـركين لعياش ابن أبي ربيعة بعدما هـاجر إلـى المدينـة حـتى أوثقـوه وردّوه إلى مكة في:

[6]سيرة ابن هشام: (2/118-120).

فتح الباري: (8/226-227).

سيرة ابن كثير: (2/219- 220).

وقصة عياش بن ربيعة رواها ابن إسحاق قال: حدثني نـافع عـن عبـد الله ابن عمر عن عمر، وهذا إسناد حسن.

(6) انظر: سيرة ابن هشام: (1/280).

[7] هو: عُفَيّف - بالتصغير، بضم العيـن المهملـة، وفتـح الفـاء الموحـدة، والياء المشددة ثم فاء - هذا هو الراجح في ضبط اسمه - ابن عمـرو وقيل ابن قيس.

ولقب عفيفًا لقوله:

وقالت لي: هلمّ إلى التصابي.. فقلت: عففت عما تعليـينا

وهو صحابي: انظر: الإصابة: (7/17-18) رقم الترجمة (5579).

تهذيب التهذيب:(7/236).

الاستيعاب:(9/82-87)، رقم الترجمة(2036).

مسند أحمد - بتحقيق شاكر: (3/218-223).

[8] الحديث رواه الحاكم في مستدركه - كتاب معرفة الصحابة- خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وله شاهد معتبر من أولاد عفيف بن عمرو.

وقال الذهبي: صحيح: (3/183).

ورواه ابن إسحاق في السير: إسلام علي رضي الله عنه: ص (137-138).

والإمام أحمد في المسند:(1/209).

والبخاري في التاريخ الكبير: (7/74-75)، في ترجمة عفيف، رقمها (341).

والطبري في التاريخ (2/311 ، 312)، فيمن اتبع النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به بعد خديجة.

والعقيلي في الضعفاء الكبير، في ترجمة إسماعيل بن إياس بن عفيف، رقمها (87)،(1/80).

والطبراني في المعجم الكبير: في ترجمة عفيف: (18/100).

وابن عدي في الكامل، في ترجمة إياس بن عفيف: (1/410).

والبيهقي في الدلائل، في باب من تقدم إسلامه من الصحابة: (2/162).

وابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة عفيف، ورقمها (2036): (9/83-85)، وفي ترجمة علي بن أبى طالب، ورقمها (1855): (8/143-145).

وابن سيد الناس في عيون الأثر بسنده، في ذكر أول الناس إيمانًا: (1/93).

ونسبه ابن حجر في الإصابة للبغوي وابن أبي خيثمة وابن منده وصاحب الغيلانيات: (7/18).

ومدارهم على يحيى بن الأشعث - أو ابن أبي الأشعث- الكندي من أهل الكوفة، عن إسماعيل بن إياس بن عفيف، عن أبيه، عن جده عفيف.

ويحيى ترجمه البخاري وابن أبي حاتم فلم يذكراه بجرح ولا تعديل، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: التاريخ الكبير: (8/261)، الجرح والتعديل: (9/129)، الثقات: (9/251)، تعجيل المنفعة ص (438)، لسان الميزان: (6/241).

وإسماعيل بن إياس قال فيه البخاري: في حديثه نظر، وهي من أشد ألفاظ الجرح عنده، وذكره ابن أبي حاتم وقال: روى عن أبيه، روى عنه يحيى.. سمعت أبي وأبا زرعة يقولان ذلك.

قال أبو زرعة: "يعد من المدنيين"، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن عدي: ليس هو بالمعروف. انظر: التاريخ الكبير: (1/345)، الجرح والتعديل: (2/159)، الثقات: (6/35)، الكامل: (1/305)، اللسان: (1/395).

وأبوه إياس، قال البخاري: فيه نظر، وذكره ابن أبي حاتم وقال: يعد في الحجازيين، سمعت أبي وأبا زرعة يقولان ذلك، ولم يذكر فيه عنهما جرحًا ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: التاريخ الكبير: (1/441)، الجرح والتعديل: (2/280)، الثقات: (4/34)، الكامل: (1/410)، اللسان: (1/475)، التعجيل ص (44)ـ فهذا الإسناد ضعيف جدًا.

ولكن جاء الحديث من طريق آخر:

وهي رواية سعيد بن خثيم عن أسد بن عبد الله البجلي عن يحيى بن عفيف عن أبيه عفيف.

انظر: الجرح والتعديل: (2/367، 379)، الثقات: (8/140) الميزان: (1/325)، اللسان: (2/34).

فهذا الإسناد - أيضًا- ضعيف.

ولعل الحديث - بمجموع الطريقين الأخيرين حسن لغيـره - إن شـاء الله-، أما الطريق الأولى فهي غير منجبرة لشدة ضعفها.

وقد قال الإمام ابن عبد البر في الاستيعاب (9/83): "حـديث حسـن جدًّا"، وإن كان يحتمل أنه قصد الحسن المعنوي؛ لأنه قد يقـول ذلـك في أحاديث يذكر عللها، مثل قوله: "حديث حسن جدًّا، ولكن ليس له إسناد قوي"، جامع بيان العلم: (1/55).

والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وسبق ذكر ذلك.

وقال الهيثمي: ورجال أحمد ثقات: المجمع: (9/103،223).

وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، المسند: (3/318)، التعليق علـى الحديث رقم (1787).

[9] سيرة ابن هشام: (1/263).

وهذا الحديث المرسل يشهد له ما سبق من حـديث عفيـف الكنـدي، وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

[10] سورة يوسف: آية 104، وسورة ص: آية 87.

[11] سورة القلم: آية 52.

[12] سورة الأنعام: آية 90.

[13] رواه البخاري في: 62 - كتاب فضـائل الصـحابة، 15 - بـاب منـاقب سعد بن أبي وقاص الزهري: (4/212).

وفي: 63 - كتاب مناقب الأنصار، 31 - باب إسلام سـعد رضـي اللـه عنه: (4/240).

وابن ماجه في المقدمة، 11 - باب في فضائل أصـحاب رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث (132): (1/47) وفيه: ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه.

وابن سعد في الطبقات، في ترجمة سعد: (3/139).

وأبو نعيم في الحلية في 7 - سعد بـن أبـي وقـاص -بنحـو روايـة ابـن ماجه: (1/92).

ونسبه الحافظ ابن حجر لابن منده في معرفـة الصـحابة بنحـو روايـة ابن ماجه: (7/84).

ورواه البيهقي في الدلائل - باب من تقـدم إسـلامه مـن الصـحابة: (2/169).

وعن سعد رضي الله عنه قال: رأيتني سـابع سـبعة مـع النـبي صـلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق الحبلة حتى يضع أحـدنا مـا تضـع الشاة.

رواه البخاري في: 70 كتاب الأطعمة، 23 - باب ما كان النبي صــلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون: (6/204).

وفي: 81 - كتاب الرقاق، 17 - باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: (7/180).

وفـي: 62 - فضـائل أصـحاب النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، 15 - مناقب سعد بن أبي وقاص: (4/212).

ومســلم في: 53 - كتاب الزهد والرقـائق... رقـم الحـديث: (1،12 3)، (4/2277).

والترمذي في: 37 - كتـاب الزهـد، 39 - بـاب مـا جـاء فـي معيشـة أصـحاب النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، رقـم الحـديث (2365): (4/582).

وأحمد في المسند: (1/174،181،186).

ويمكن الجمع بين هذا وهذا أن قصته مع السـبعة قصـة متـأخرة فـي غزوة من الغزوات، وأن أفراد تلك الغزوة كانوا سبعة.

ثم وجدت ذلك صريحًا في رواية ابن سعد: (3/140).

[14] رواه مسلم في: 6 - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، 52 - باب إسلام عمرو بن عبسة، رقم الحديث (294): (2/569) بهذا اللفظ.

والإمام أحمد في مسنده: (4/111،112).

وأبو عوانة في مسنده، بيان الأعمال والفرائض 00 (1/5).

وابن خزيمة في صحيحه، كتاب الوضوء (جماع أبواب الوضوء وسننه)، 128 - باب ذكر البيان أن الله عز وجل أمر بغسل القدمين، رقم الحديث (165): (1/85) وهو مختصر.

ثم في جماع أبواب الغسل والتطهير والاستحباب (196)، باب ذكر دليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يأمر بالوضوء قبل نزول سورة المائدة، رقم الحديث (260): (1/128-130).

والحاكم: كتاب الطهارة: (1/163-165).

وفي كتاب معرفة الصحابة: (3/66).

وفيه أيضًا في ذكر بلال بن رباح: (3/285) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وفيه أيضًا في ذكر عمرو بن عبسة رضي الله عنه (3/617) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وفي: كتاب البر والصلة: (4/148) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وأبو نعيم في الدلائل، ذكر إسلام عمرو بن عبسة: (210-121).

والبيهقي في الدلائل، باب من تقدم إسلامه من الصحابة (2/168).

[15] ورواه عنه من غير طريق أبي أمامة:

الإمام أحمد في المسند: (4/113-385،114).

وفي فضائل الصحابة، فضائل أبي بكر، رقم (299).

وابن منده في التوحيـد، ذكـر الآي المتلـوة والسـنة المـأثورة .. فـي النـزول رقم (725)، (2/517).

واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، فـي سـياق مـا روي عـن النـبي صلى الله عليه وسلم في نزول الرب تبارك وتعالى، برقم (761)، (3/445).

والدارقطني في كتاب النـزول، ذكر الرواية عن عمرو بن عبسة فـي ذلك رقم (66، 67) ص(142-144).

والبخاري في التاريخ الكبير، فـي ترجمـة سـويد بـن جبلـة الفـزاري، رقمها (2273): (4/147).

(15) فــي روايــة الحــاكم: (3/285،617)، وابــن خزيمــة: (1/129) وغيرهما، وقد روى الحاكم عن أبي ذر أيضًا أنه قال: لقد رأيتنـي ربـع الإسـلام.. وقـال: صـحيح الإسـناد ولـم يخرجـاه، ووافقـه الـذهبي. المستدرك: كتاب معرفة الصحابة: (3/341).

[16] رواه البخاري في: 63 -كتاب مناقب الأنصار، 30 -بـاب إسـلام أبـي بكر الصديق رضي الله عنه: (4/240).

[17] وفي: 62 - فضائل أصحاب النبي صلى الله عليـه وسـلم، 5 - بـاب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذًا خليلاً .. (4/191).

والإمام أحمد في: فضائل الصحابة، برقم (232): (1/208).

والبيهقي في الدلائل، باب من تقدم إسلامه من الصحابة: (2/167).

(17) انظر: فتح البـاري (7/24)، وقـد قـال ابـن مسـعود: لقـد رأيتنـي سادس ستة ما على الأرض مسلم غيرنا، رواه الحاكم وقال: صــحيح الإسناد ولـم يخرجـاه، ووافقـه الـذهبي. المسـتدرك: كتـاب معرفـة الصحابة: (3/313).

[18] سبق تخريجه.

[19] انظر: سيرة ابن هشام: (1/267-269)، والسيرة النبوية لابن كثير (1/437-439)

[20] سورة الأحقاف: الآيات 29-32.

[21] وسبق الحديث عن "غربة الحنفاء في الجاهلية"، وبيان طبيعة تلك الغربة.

[22] سورة العنكبوت: آية 69.

[23] رواه ابن ماجه: في المقدمة، 11- باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث (150)، (1/53).

والإمام أحمد في المسند: (1/404).

وفي فضائل الصحابة، برقم (191): (1/182-183).

وابن أبي عاصم في كتاب الأوائل برقم (99)، ص (87).

وابن أبي شيبة في المصنف - كتاب الفضائل - (2092) في بلال رضي الله عنه، برقم (12383،12384) ، (12/149).

وأبو نعيم في الحلية في ترجمة بلال، ورقمها (24): (1/149).

والبيهقي في الدلائل - باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .. (2/281)، وفي باب من تقدم إسلامه: (2/170).

ورواه أيضًا في السنن، في كتاب المرتد، باب المكره على الردة (8/209).

ورواه الحاكم في المستدرك، في معرفة الصحابة: (3/384) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة بلال، رقمها (213): (2/27).

وابن حبان - كما في الإحسان: كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة - ذكر صهيب بن سنان، برقم (7041)، (

9/107). كلهم من طريق زائدة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله.

[24] وزائـدة: هـو ابـن قدامـة: ثقـة ثبـت. انظـر: التهـذيب (3/306)، التقريب: (1/256).

وعاصم: هو ابن أبي النجود المقرئ: صدوق في حفظه شيء، وقـال الـذهبي: حسـن الحـديث. انظـر: الميـزان: (2/357)، التهـذيب (5/38)، التقريب: (1/383).

وزر: هو ابن حبيش الأزدي: ثقـة جليـل. انظـر: التهـذيب: (3/321)، التقريب: (1/259).

فالحديث حسن.

وقد صححه الحاكم، ووافقه الذهبي -كما سبق- وقال البوصيري: هذا إسناد رجاله ثقات. الزوائد:(1/77).

وله شاهد مرسل عن مجاهد: رواه أبو نعيم فـي الحليـة فـي ترجمـة عمار ورقمها: (22)، (1/140).

ورواه ابن سعد في الطبقات، في ترجمة بلال: (3/233).

وابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة بلال: (2/28).

وقد ذكر موضع المقداد: خبابًا رضي الله عنه.

وانظر: أيضًا: السيرة النبوية لابن كثير: (1/436،494).

(24) سبق تخريجه في أسباب الغربة .

[25] هو عقبة بن أبي معيط. انظر: فتح الباري: (1/594).

[26] رواه البخاري في: 8- كتاب سترة المصلي، 109- باب المرأة تطرح عن المصلي شيئًا من الأذى: (1/131).

4- كتـاب الوضـوء، 69- بـاب إذا ألقـي علـى ظهـر المصـلي قـذر: (1/65).

58- كتاب الجزيـة، 21- بـاب طـرح جيـف المشـركين فـي الـبئر.. (4/71) وفيه: فألقوا في بئر، غير أمية، أو أبي، فإنه كـان رجلاً ضـخمًا فلما جروه تقطعت أوصاله قبل أن يلقى في البئر.

63- مناقب الأنصار، 29- باب ما لقي النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وأصحابه..، (4/238).

56- كتاب الجهاد والسير، 98- باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة: (3/234).

64- كتاب المغازي، 7- باب دعاء النبي صلى الله عليـه وسـلم علـى كفار قريش: (5/5).

ومسلم في: 32- كتاب الجهاد والسير، 39- باب ما لقى النبي صلى اللـه عليـه وسـلم مـن أذى المشـركين، رقـم (107، 108، 109، 110).

والنسائي في: 1- كتاب الطهارة، 192- باب فـرث مـا يؤكـل لحمـه يصيب الثوب: (1/161-162).

وأحمد في المسند: (1/393).

وابن أبي شيبة، في المصنف، كتاب المغازي (2406)، باب في أذى قريش للنبي صلى الله عليه وسلم رقم (8412)، (14/295).

وفي (2426) بـاب غزوة بدر الكبرى، رقم (18524): (14/361).

وابن إسحاق في السير والمغازي: ص (211).

وابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، 263- باب ذكر الـدليل علـى أن المصلي إذا أصاب ثوبه نجاسـة وهـو فـي الصـلاة لا يعلـم بهـا لـم تفسد صلاته، برقم (785)، (1/383).

والبيهقي في دلائل النبوة، باب ما لقي النبي صلى اللـه عليـه وسـلم وأصحابه من أذى المشركين: (2/278، 279، 279-280).

وإنك لتشعر بالروح والأنس حين تتذكر مقتل هـؤلاء الصـناديد العتـاة في بدر، ويلذ لك سماع شاعر منهم يبكي عليهم، ويقول بعدما ألقــوا في القليب:

وماذا بالقليـب - قليب بـدر

من الشيـزى تزيّنُ بالسنام؟

وماذا بالقـليب - قليب بـدر

من القينات والشرب الكرام؟

تحـيينا السـلامـة أم بكـر

فهل لي بعد قومي من سلام؟

يحدثنا الرسـول بأنْ سـنحيا

وكيف حياة أصـداء وهام؟!

[27] الطَوِيّ: البئر المطوية، وهو في الأصل صفة من الطي؛ ولذلك جمـع -كما هنا- على أطواء. انظر: النهاية: (3/146).

[28] الركي هي البئر أيضًا، وهي الركية وتجمع على ركايا، انظـر: النهايـة: (2/261).

[29] رواه البخاري في 64 - كتاب المغازي، 8- باب قتل أبي جهل (5/8).

ومسلم في: 51- كتاب الجنة..، 17- باب عـرض مقعـد الميـت مـن الجنة أو النار عليه، رقم (78)، (4/204).

وأحمد في المسند: (4/29).

وورد الحديث عن عمر في مسلم في الموضع السابق، برقــم (76)، (4/2202).

والنسـائي في: 20- كتاب الجنائز، 117- أرواح المؤمنين (4/109).

وفي المسند: (1/27).

وعن أنس في مسلم في الموضع السابق، برقم (77) ، (4/2203).

والنسائي في الموضع السابق: (4/110)، والمسند: (3/104، 145، 182، 219،263، 287).

وعن ابن عمر عند البخاري في: 23- الجنائز، 87- باب ما جاء في عذاب القبر: (2/101).

والنسائي في الموضع السابق: (4/110-111).

والمسند: (2/31، 38، 131).

وعن عائشة في المسند: (6/276).

وقد وردت الأسماء التي نادى بها الرسول صلى الله عليه وسلم عند مسلم وغيره: يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة ابن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة.

30 رواه ابن إسحاق في السير والمغازي، من عذب في الله بمكة من المؤمنين، ص (192-193).

وهو في السيرة النبوية لابن هشام، في ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة: (1/342-343).

ورواه البيهقي في السنن، في كتاب المرتد - باب: المكره على الردة: (8/209).

ورجال إسناده كلهم ثقات، خلا ابن إسحاق فإنه يخشى منه التدليس، وقد صرح في هذه الرواية بالتحديث، وخلا شيخه حكيم ابن جبير، فإنه شيعي، وأكثر العلماء على تضعيفه، وقال أبو زرعة: محله الصدق - إن شاء الله -.

انظر في ترجمته: التاريخ الكبير: (3/16)، الجرح والتعديل(3/201)، التهذيب: (2/445)، الميزان: (1/583)، التقريب (1/193).

فالحديث ضعيف، ولكن يشهد له حديث ابن مسعود السابق، وقصة تعذيب عمار، فقد جاء عند الطبري وغيره أن قوله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِالله مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ الله ولهم عذابٌ عظيم) [سورة النحل: آية 106].

نزل في عمار بن ياسر؛ بل قال ابن حجر: "اتفقوا على أنها نزلت فيه" الإصابة: (7/65).

وقال ابن عبد البر: ".. فنزلت فيه (إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمَانِ) وهذا مما اجتمع أهل التفسير عليه" الاستيعاب: (8/226) وذلك أن المشركين ضربوه حتى باراهم في بعض ما يريدون ونال من النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير.

انظر: تفسير الطبري سورة النحل: (14/181-182).

وقصته رواها الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير: (2/357).

وإسناده حسن، سوى أنه مرسل، فهو من رواية أبي عبيدة بن محمد ابن عمار بن ياسر عن أبيه قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر...

وأبو عبيدة صدوق. انظر: التهذيب: (12/160)، اللسان: (4/549)، وكذلك أبوه. انظر: الجرح والتعديل: (8/43)، التهذيب: (9/359)، الثقات: (5/357).

[31]ومن طريق الحاكم رواها البيهقي في سننه: كتاب المرتد، باب المكره على الردة، (8/208).

وسيأتي مزيد تخريج لهذه القصة في رسالة قادمة عن العزلة والخلطة تحت فصل "التقية".

(31) انظر: السير والمغازي لابن إسحاق: ص (154، 189-194).

سيرة ابن هشام: (1/339-343).

السيرة النبوية لابن كثير: (1/493-497).

[32] رواه أبو أحمد الحاكم من طريق عقيل، عن الزهري، عـن إسـماعيل ابن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، كما فـي الإصـابة فـي ترجمـة ياسـر العنسي - بالنون- ورقمها (9209)، (10/331)، وفي الاستيعاب في ترجمة ياسر ورقمها (2822)، (11/100-101).

وعُقيل -بضم العين، وفتح القـاف- هـو ابـن خالـد الأيلـي: ثقـة ثبـت. انظر: التهذيب: (7/255)، التقريب: (2/29).

والزهري: إمام مشهور، ومضى.

وإسماعيل بن عبد الله: ثقة. انظر : التهذيب: (1/306)، التقريب (1/70).

وهذا إسناد صحيح، وهو من مراسيل الصحابة.

انظر: التهذيب: (5/170).

والخبر رواه ابن إسـحاق فـي السـير والمغـازي مرسـلاً حيـث قـال: فحدثني رجال من آل عمار بن ياسر، في بـاب: مـن عـذب فـي اللـه بمكة من المؤمنين. ص (192).

وهو في السيرة النبوية لابن هشام، في ذكر عدوان المشركين علـى المستضعفين: (1/342).

ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده -كما في المطالب العالية-، وأبو أحمد الحاكم، وابن منده -كما في الإصابة- من طريق الأعمـش، عن سالم بن أبي الجعد، عن عثمان رضـي اللـه عنـه، وهـو منقطـع، وقال أبو زرعة: سالم عن عمر وعثمان وعلي: مرسل.

المطالب العالية - كتاب المناقب - باب فضل عمار بن ياسر، رقــم (4034): (4/87).

الإصابة - الموضع السابق: (10/332)، المراسـيل لابـن أبـي حـاتم رقم الترجمة (126) ص (80).

ورواه الإمام أحمد من طريق عمرو بن مرة عن سالم عن عثمان، وفيه العلة السابقة: (1/62).

وهكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عمار ورقمها (22): (1/140).

ورواه الحاكم في المستدرك، والطبراني في الأوسط من طريق أبي الزبير عن جابر، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم وهو ثقة.

المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، مناقب عمار بن ياسر: (3/388، 389).

مجمع الزوائد، 40 - كتاب المناقب، باب فضل عمار بن ياسر وأهل بيته: (9/293).

وسبق الكلام في رواية أبي الزبير عن جابر، وليست هاهنا من طريق الليث.

ونسبه ابن حجر للإمام أحمد في الزهد من طريق يوسف بن مالك مرسلاً. الإصابة: (10/331).

وهذه كلها شواهد للحديث الأصل.

[33] هو: بيان بن بشر الأحمسي الكوفي المعلم، أبو بشر - أحد رواة الحديث، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب: (1/506).

[34] رواه البخاري في: 63 - مناقب الأنصار، 29 - باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه.. (4/238).. وهذا لفظه.

وفي: 61- كتاب المناقب، 25- باب علامات النبوة في الإسلام: (4/179).

وفي أوله زيادة: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ ، وفي آخـره: ولكنكـم تستعجلون.

وفي: 89- كتاب الإكراه، 1- باب من اختار القتل والضـرب والهـوان على الكفر: (8/56).

وعلقه في: 77- كتاب اللباس، 18- باب البرود والحِبَرة والشـملة: (7/40).

وأبو داود في: 9- كتاب الجهـاد، 107- بـاب فـي الأسـير يكـره علـى الكفر، رقم (2649)، (3/108).

والنسائي في: 48- كتاب الزينة، - باب لبس البرود: (8/204).

و الإمام أحمد في المسند: (5/110-111)، (6/395).

وأبو نعيم في الحلية في ترجمة خباب، ورقمها (23)، (1/144).

[35] سيأتي ذلك في حديث ابن عباس عن أبي سفيان رضي الله عنهما.

[36] سورة يوسف: آية 110 .

[37] سورة البقرة: آية 193.

[38] من شعر زهير بن أبي سلمى، وهو في شرح شعر زهيـر لثعلـب: ص (93-95).

[39] البيت لبحير - بالمهملة أو بالمنقوطـة- ابـن عبـد اللـه بـن عـامر بـن سلمة، كما في المحبر لابن حبيب ص (139).

[40] انظــر: المنمــق، ص (460،464-468،488) والمحــبر: ص (137-146).

[41] القصة حدثت لسعد بن أبي وقاص، ورواها أبو نعيم فـي الحليـة فـي ترجمة سعد، من طريق محمد بن إسحاق. قـال: حـدثني صـالح بـن كيسان، عن بعض آل سعد، عـن سـعد، وصـالح ثقـة ولكـن بعـض آل سعد مبهم، ولعله إسماعيل بن محمد بن سعد بـن أبـي وقـاص وهـو

ثقة. انظر: الحلية ترجمة رقم (7)، (3/93).

[42] أي أصابتها القروح، والأشداق جمع: شدق، وهو جانب الفم.

[43] هو سعد بن أبي وقاص.

[44] رواه مسلم في: 53- كتاب الزهد... برقم (14-15)، (4/2278).

والترمذي في الشمائل: 50- باب ما جاء في عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (4156): (2/1392).

و الإمام أحمد في المسند: (4/174)، (5/61).

وأبو يعلى الموصلي في المفاريد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر مسند رقم (56)، ص (114).

[45] والحاكم في المستدرك، في معرفة الصحابة، مناقب عتبة بن غزوان (3/261) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

ونسبه في التحفة للنسائي في الكبرى، رقم الحديث في التحفة (9757)، (7/233).

ورواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عتبة، رقمها (27)، (1/171).

ورواه الترمذي في سننه: 40- كتاب صفة جهنم، 2- باب ما جاء في صفة قعر جهنم، برقم (2575) عن الحسن قال: قال عتبة، وقال الترمذي: لا نعرف للحسن سماعًا من عتبة ..(4/702).

(45) انظر: الإصابة: (6/379)، وطبقات ابن سعد: (4/362).

[46] انظر: السير والمغازي لابن إسحاق، ما نال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء: ص (156).

[47] الخيف: ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن سيل الماء، الفتح (8/15)، وهو المحصب من منى.. انظر: معجم البلدان: (2/412).

[48] انظر: فتح الباري (8/15).

[49] سورة آل عمران: آية 140.

[50] رواه البخاري: 56- كتاب الجهاد، 180 - باب إذا أسلم قـوم فـي دار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم: (4/33). وهذا لفظه.

وفي: 25- كتاب الحج، 44- باب توريث دور مكـة وبيعهـا. (2/157) مختصرًا.

وفـي: 64 - كتـاب المغـازي، 48- بـاب تـوريث دور مكـة وبيعهـا. (2/157) مختصرًا.

وفيه أنه قال: زمن الفتح، وفي الحديث الأصل: في حجته.

ورواه مسلم في: 15- كتاب الحـج ،80- بـاب النــزول بمكـة للحـاج رقم (439،440)، (2/984).

ورواه أبو داود في: 5- كتاب المناسك (الحـج)، 87- بـاب التحصـيب رقم (2010) (2/514).

وفي: 13- كتاب الفرائض، 10- باب هل يرث المسلم الكافر؟ رقــم (2910)، (3/328).

ونسبه المزي للنسائي في الحج، وأفاد المحقق أنه في الكبرى، ولـم أجده في المخطوط، وإنمـا وجـدت حـديث أبـي هريـرة الآتـي. رقـم الحديث في التحفة (114)، (1/57-58).

وابن ماجه في: 25- كتاب المناسك، 26- بـاب دخـول مكـة، رقـم (2942)، (2/981).

وفي: 23- كتاب الفرائض، 6- بـاب ميـراث أهـل الإسـلام مـن أهـل الشرك، رقم (2730)، (2/912).

[51] والطحاوي في المشكل، باب بيان مشكل ما روي عـن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم من جوابه أسامة.. (3/198).

وابن خزيمـة فـي: كتـاب المناسـك، 827 - ذكـر الـدليل أن النـبي.. أعلمهم.. أن ينـزل بالأبطح، برقم (2985)، (4/322).

والـبيهقي فـي سـننه فـي: كتـاب الحـج، بـاب الصـلاة بالمحصـب (5/160).

وذكر ابن حجر عن الخطيب البغدادي أن قوله: وذلك أن بني كنانـة.. إلخ، مدرج في رواية الزهري عن علـي بـن الحسـين عـن عمـرو بـن عثمان عن أسامة، وإنما هو عنـد الزهـري عـن أبـي سـلمة عـن أبـي هريرة.. الفتح: (6/176).

وانظر التعليق على الحديث الآتي.

(51) رواه البخــاري فــي: 63- منــاقب الأنصــار، 39- بــاب تقاســم المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم: (4/246) وهذا لفظه.

وفي: 35- كتاب الحج، 45- باب نزول النبي صلى اللـه عليـه وسـلم مكة: (2/158، وزاد: يعني بذلك المحصب، وذلك أن قريشًـا وكنانـة تحالفت على بنـي هاشـم وبنـي عبـد المطلـب، أو بنـي المطلـب، ألا يناكحوهم ولا يبـايعوهم حـتى يسـلموا إليهـم النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم.

وفي: 64- كتاب المغازي، 48- باب أين ركز النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم الراية يوم الفتح؟: (5/92).

وفي إحدى روايتي هذا الموضع: منـزلنا -إن شاء اللـه- إذا فتـح اللـه الخيفُ.. الخيف مرفوع: خبر لمنـزلنا، أما مفعول فَتَحَ فمحذوف.

وفي: 97- كتاب التوحيد، 31- باب المشيئة والإرادة: (8/194).

ورواه مسـلم فـي: 15- كتـاب الحـج، 59- بـاب اسـتحباب النــزول بالمحصب رقم (343-345)، (2/952).

وأبو داود في: 5- كتاب المناسك (الحج)، 87- باب التحصيب رقــم (2011)، (2/515).

والنسائي في السنن الكبرى، كتاب المناسك، بـاب نـزول المحصـب بعد النفر، (ل: 54 ب).

وأحمد في المسند: (2/237،263،322،353،540).

[52]وابن خزيمة في: كتاب المناسك، 826- باب استحباب النزول بالمحصب، رقم (2981-2982).

827- باب ذكر الدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم.. رقم الحديث (2984)، (4/321-322).

والبيهقي في سننه في كتاب الحج، باب الصلاة بالمحصب: (5/160).

واختلفت روايات الصحيح وغيرها في هذا الحديث، ففي بعضها -كما هاهنا- حين أراد حنينًا، وفي البعض الآخر: من الغد يوم النحر وهو بمنى.

كما اختلف صنيع الأئمة فهم يثبتونها حينًا في أبواب المناسك وحينًا في أبواب المغازي والجهاد..

وانظر: للجمع والترجيح: الفتح: (3/453)، (8/15).

قال الحافظ ابن حجر في الزيادة المسوقة في كتاب الحج: "ويختلج في خاطري أن جميع ما بعد قوله: يعني المحصب، إلى آخر الحديث من قول الزهري أدرج في الخبر.. ومن ثم لم يذكر مسلم في روايته شيئًا من ذلك" الفتح: (3/453، (8/15).

(52) سورة المنافقون: آية 7.

[53] هو الحداد الذي يصنع السيوف. انظر: النهاية (4/135).

[54] سورة مريم: آية 77.

[55] رواه البخاري في: 44 - كتاب الخصومات، 10 - باب التقاضي: (3/92).. وهذا لفظه.

وفي: 34- كتاب الإجازة، 15- باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك؟: (3/52).

وفـي: 37- كتـاب التفسـير، 19- سـورة كهيعـص، 3- بـاب قـوله: أفرأيت الذي كفر بآياتنا..، (5/237).

ومسـلم في: 5- كتاب التفسـير، 20- ومـن سـورة مريـم، رقـم (3162)، (5/318).

والإمام أحمد في المسند: (5/110-111).

والطبري في التفسير، تفسير سورة مريم: (16/120).

وابن سعد في الطبقات، في ترجمة خباب: (3/164).

وروى الطبري عن ابن عباس نحوه وفيه: أن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل.. : (16/121).

وورد مرسلاً عن الحسن ومجاهد وقتادة ومسروق، انظـر: الطـبري، والدر المنثور.

56 أي: حدث التفكير بذلك.

57 سورة الكهف: آية 20.

وانظر: ما سبق مرارًا من حديث عمرو بن عبسة.

58 سورة الأنفال: رقم الآية 9.

59 رواه مسـلم فـي: 2 ذ - كتـاب الجهـاد والسـير، 18 - بـاب الإمـداد بالملائكـة فـي غـزوة بـدر.. ، رقـم (58): (3/1383-1385) وهـذا لفظه.. وفي آخره زيادة.

وروى أبو داود بعضه في: 9 - كتـاب الجهـاد، 131 - بـاب فـي فـداء الأسير بالمال، رقم (2690): (3/138-139).

ورواه الترمذي في: 48 - كتاب تفسير القرآن، 9 - باب ومن سـورة الأنفال، رقم (3081)، (5/269).

وأحمد في المسند: (1/30،32).

والطبري في التفسير، تفسير سورة الأنفال: (9/189).

وابن أبي شيبة في مصنفه: كتاب المغازي، (2426)، باب غزوة بدر الكبرى.. رقم (18531)، (14/365-368).

وأبو نعيم في الدلائل، في ذكر ما جرى من الآيات في غزواته وسراياه: ص (408).

والبيهقي في الدلائل، جماع أبواب غزوة بدر العظمى، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على المشركين: (3/51).

ونسبه السيوطي في الدر أيضًا لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي عوانة وابن حبان وأبي الشيخ وابن مردويه: (4/28).

والحديث ورد عن ابن عباس في:

البخاري في: 56 - كتاب الجهاد والسير، 89 - باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم، (3/230).

64 - كتاب المغازي، 4 - باب قول الله تعالى: إذ تستغيثون ربكم: (5/4).

65 - كتاب التفسير، 6 - باب قوله: سيهزم الجمع ويولون الدبر: (6/54).

7 - باب قوله: بل الساعة موعدهم (6/54).

[60]والبيهقي في الدلائل، جماع أبواب غزوة بدر العظمى، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على المشركين، (3/50).

وهو في الدلائل لأبي نعيم بسياق آخر، في ذكر ما جرى من الآيات في غزواته وسراياه، ص (404).

ونسبه المزي في التحفة للنسائي (6054)، (75/127)، وهو في الدر المنثور: (7/681).

وورد عن ابن مسعود عند النسائي في عمل اليوم والليلة، باب الاستنصار عند اللقاء، رقم (606)، ص (394).

وفي السنن الكبرى، كتاب المغازي، باب الصلاة عند الالتقاء (ل 115/ أ)، وهو في الدلائل للبيهقي: (3/50).

وورد عن علي عند البيهقي في الدلائل: (3/49).

وعن يزيد بن يثيع في مصنف ابن أبي شيبة، كتاب المغازي، (2426) غزوة بدر الكبرى، (18535)، (14/369).

وهو عنده أيضًا مختصرًا، في كتاب الفضائل، (2060)، ما ذكر في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم (12012)، (12/19).

وهو عند الطبري في التفسير، تفسير سورة الأنفال (9/190) وفي المطبوع: ابن نفيع.

61 سيأتي في الفصل الثالث من هذا الكتاب: كيفية مواجهة الغربة، الحديث عن هجرتي الحبشة، والخروج إلى الطائف، وهجرة المدينة.. وغيرها.

62 سورة الأنفال: آية 26.

* * *